الإيمان، والاعتقادات ومذهب حدود العلم، وفلسفة الفعل باعتبار أنها تربط العلم بالدين بمبدأ مشترك، ومذهب التجربة الدينية كما يعرضه وليم جيمس.

ويضيف المؤلف إلى ذلك قوله إنه: (لو نظرنا نظرة كاملة لأضفنا إلى هذه الثنائية مذاهب أخرى كثيرة، ومع ذلك فهذه الأمثلة كافية فى بيان عنف ومثابرة وأسلحة هذا الصراع المتجدد على مر العصور، ومن الجرأة أن نتنبأ بنتيجة هذا النزاع باسم المنطق وحده، لأن أنصار كل قضية منهما يلحون منذ زمن طويل فى الجدل دون أن ينجحوا فى إقناع بعضهم بعضا، أما أن نقطع فى هذه المسألة بأن نرسم بادئ بدء خط التطور التجريبى للتطور المستخلص فى التاريخ أو الذى يظن استخلاصه منه، فهو أيضا منهج شديد السذاجة، ولا يكفى أن يصبح الشىء قديما ليقترب من نهايته وليس الحال بالضرورة فى حياة الأفكار والعواطف والمعنويات، كالحال فى حياة الأفراد، بل أكثر من ذلك عندما تموت هذه الأمور فقد يمكن أن تولد من جديد، وبخاصة إذا طال عليها أمد النسيان، وهذا هو شأن الثورات التى تكون أعنف بمقدار ما تحيى مبادىء أقدم، فعندما أراد روسو أن يجدد العالم رجع إلى الطبيعة باعتبار أنها أقدم من سائر التقاليد، هذا إلى أن التاريخ يقدم لنا ألوانا من التطور يلوح أنها تتجه وجهة محدودة، كما يقدم لنا كذلك حركات منتظمة تطور إحدى مراحلها هو نهاية مرحلة مضادة لها. أن سير الأمور، الإنسانية يبلغ من التعقيد حدا يمنعنا من الانتقال من تطور معين إلى أسبابه الميكانية المحدودة له، هذه الأسباب التى بدون معرفتها لا يتسنى التنبؤ العلمى الصحيح.

وإذا صح أن الدين والعلم يمكن تشبههما بالأحياء، فكيف نقيس حيويتهما ومستودع طاقتهما، وإمكانيات يقظتهما، ألسنا نرى اليوم أن بعض علماء الطبيعة يفسرون التغييرات المفاجئة التى تظهر أحيانا فى بعض الأنواع الطبيعية بخصائص ظلت كامنة إلى ذلك الوقت حتى جاء الظرف الملائم، لظهورها فجأة فبدلا من التنبؤ عن مستقبل الأديان بأحكام أقرب إلى اليسر منها إلى التحقيق، قد يكون من المفيد أن ننظر إلى حالة كل منها الراهنة، وأن نحدد بمقتضى هذه الدراسة طريقة تصور العلاقات بينهما، وهى طريقة تبدو كما يقول أرسطو ممكنة ومناسبة فى آن واحد.